

رحيل سامي زبيدة: المنقّب في أنثروبولوجيات الإسلام وكوزموبوليتية الطعام

المدن - ثقافة | الجمعة 2025/04/11



كان لدى سامي زبيدة اهتمام عميق بالآثار الحضارية للطعام والثقافة الطهوية



الاجتماع السياسي في كلية بيركبك (جامعة لندن). ولد في بغداد. وفي العام 1953 غادر للدراسة في مدرسة داخلية إنكليزية.

وكتب زبيدة عددًا مهماً من المؤلفات، التي غطت مواضيع الدين، والإثنية، والقومية، والثقافة، والسياسة، في الشرق الأوسط. ومن مؤلفاته عن الإسلام: و"القانون والقوة في العالم الإسلامي"، و"ما وراء الإسلام: فهم جديد للشرق الأوسط". وكتب كذلك في مجال علم الاجتماع السياسي: "العرق والتمييز العنصري في العراق"، و"الأفكار والحركات السياسية في الشرق الأوسط"، وغيرها. وأصدر سامي زبيدة، كتابه "انثروبولوجيات الإسلام: مناقشة ونقد لأفكار إرنست غلنر"، عن دار الساقي في بيروت ولندن، ضمن سلسلة "بحوث اجتماعية".

تشمل أبحاثه الدين والثقافة والسياسة والقانون في الشرق الأوسط، مع تركيز خاص على مصر وإيران والعراق وتركيا. كما اهتم أيضًا بتاريخ وثقافة الطعام، ممتدًا نسبيًا عبر أوروبا والشرق الأوسط والهند. وهو محرر كتاب "مذاق الزعتر: ثقافات الطهي في الشرق الأوسط"؛ "الطبق المقدس/ السلوكيات الفئوية في الشرق الأوسط".

وتزامنت المسيرة الأكاديمية لسامي زبيدة مع حقبة جديدة من الصراع بين الغرب والشرق الأوسط، وقد كرّس جزءًا كبيرًا من تلك المسيرة للعمل الذي يسعى إلى تفكيك الأحكام المسبقة الراسخة وفكّ التفاهمات المتصلبة لدى كلا الجانبين، إذا كان الطرفان على ما هما عليه بالفعل. وكان لسنوات عديدة أحد أكثر المحللين قراءةً واحترامًا في تاريخ وسياسة الشرق الأوسط في العالم. في كتابه "الإسلام والشعب والدولة: الأفكار والحركات السياسية في الشرق الأوسط" (1989)، يطرح سامي زبيدة تحديه للفكرة القائلة بأن العالم الإسلامي يتمتع بمنطق ومصير تاريخي منفصل تمامًا عن الغرب وغريب عنه، ورأى أن القوة الجديدة المتمثلة في "الإسلام السياسي" هي في الواقع ظاهرة حديثة تمامًا ونموذجية.

في محاضرته الافتتاحية بعدما أصبح أستاذاً في بيركبيك العام 2004، وكانت بعنوان "العالميون والقوميون والأصوليون في الشرق الأوسط الحديث"، أصرّ على الحقيقة غير المريحة للبعض وهي أن "العالمية هي نتاج الإمبراطوريات"، وأن الإمبراطوريتين العثمانية والبريطانية هما اللتان جمعتا في مراكز حضرية كبيرة ومتسامحة إلى حد كبير، العديد من الشعوب المختلفة ذات التاريخ والمعتقدات والتصرفات السياسية المختلفة.



وبينما سعى الكثيرون في السنوات الأخيرة إلى إبراز الاختلاف الجذري بين "عالمَي" الغرب والشرق الأوسط، سعى سامي زبيدة إلى إظهار أوجه التشابه المعقدة، لقد شدد في أعماله ليس فقط على صعوبة



والسلطة السياسية في مجتمعات الشرق الأوسط. ويتمحور الكتاب حول دراسة أصول الشريعة الإسلامية وتطورها، والنصوص التي تجسدت فيها. في هذا الكتاب، يُظهر زبيدة أن فكرة وجود قانون شرعي ثابت ومطلق، يُنقل باستمرار، هي مجرد وهم - ومن المفارقات أن الغرب والشرق على حد سواء يتشاركان في هذا الوهم.

منذ تسعينيات القرن العشرين على الأقل، كان لدى سامي زبيدة اهتمام عميق بالآثار الحضارية للطعام والثقافة الطهوية والدين الشعبي، فكتب مقالات عن العديد من الجوانب المختلفة للطعام في الشرق الأوسط، والهند. وأشار إلى التنوع الكبير في مجتمعات ولغات وثقافات الشرق الاوسط، معتبراً أن "عددًا من العناصر والثيمات المشتركة، او التماثلات الثقافية وشكل التنويعات تشكل ثيمات مشتركة، أوضحها وأسهلها، هي تلك التي تخص الثقافة المطبخية: المشاوي، المحاشي، يخنات لحم الغنم بالخضر، المعجنات الحلوة باللوز والفستق والشيوع اللافت للمعتقدات والطقوس المتعلقة بـ"العين الشريرة" أو الأفكار والشخصيات المشتركة في الميثولوجيا، كالخضر والإسكندر"، فالخضر "يظهر شخصية متكررة في الدين والميثولوجيا الإسلاميين. وموقع هذه الشخصية في الكتب المقدسة مبهم: ارتباطات بسورة الكهف في القرآن، أساطير سريانية عن الإسكندر، سيناريوهات ميسانية (طائفة يهودية).. لكن لا شيء قطعياً. في الثقافة الشعبية، ترتبط شخصية الخضر بالرحمة والإنقاذ، فهو يتشفّع للناس الذين يواجهون خطراً وينقذهم مما يبدو موتاً محققاً. في السيناريوهات الميسانية، يرافق الخضر المسيح ويكون له دليلاً. ويُروى أن المهدي المنتظر السوداني رأى الخضر إلى جانب النبي محمد في الحلم أو التجلي الذي كُلّف فيه بمهمته أول مرة. وتظهر في التقليد والدين الشعبي اليهودي شخصية مقابلة هي "إيليجا" أو "إيلياهو" أو "إلياس"؛ كما تحتوي الأساطير الميسيانية على شخصية "نابي إيلياهو" الذي يرافق المسيح في مجيئه. في الميثولوجيا الدينية الخاصة بمصر وسوريا الكبرى، المعادل المسيحي للخضر هو القديس جورج. فتظهر في الأسطورة القديمة المتعلقة بتنين النيل، الذي كانت تُقدّم له أضحية بشرية كلّ عام كي لا يحبس الماء، شخصية قاتل الوحش المقدّسة: بالنسبة للمسلمين هي الخضر، وبالنسبة للأقباط هي القديس جورج".

ويقول زبيدة عن عمله: "لقد حاولتُ أن أبيّن أن الثقافة الشعبية في الشرق الأوسط ثقافة توفيقية متعددة اللغات. ويتراوح تأثير الدين في هذه الثقافة، لكنها قلّما تكون أرثوذكسية تجاه أيّ من الأديان. ما أطلقتُ عليه اسم التوجهات "الذرائعية" للدين الشعبي تتجاوز حدود الحصرية الدينية، سواء كانت خاصة بالإسلام أم المسيحية أم اليهودية؛ وتندمج في سحر وأسطورة ودراية بعضها مستقى من مصادر كتابية، لكن أغلبها



ويرى سامي زبيدة في حديثه عن علاقة الطعام بالوجدان الشعبي، أن الطعام يعدّ علاقة ثقافية بارزة تبرز الحدود الاجتماعية، وقبل ظهور القومية. ويلفت إلى تأثير العولمة في الطعام وتغير طرق الطهي في الشرق الأوسط إذ تظهر واضحة في استعمال أنواع الزيوت النباتية والدهون في المطبخ، ويقول: "الأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها أن كل أنواع الحبوب التي كانت موجودة في الشرق الأوسط مثل الذرة في مصر، والشعير في العراق وإيران، والأرز في جنوب العراق وبعض مناطق القزوين، تم استبدالها جميعاً بالقمح والأرز في السوق العالمية لتكون الغذاء الرئيسي لسكان المنطقة جميعهم، إذ يستعمل الأرز والخبز المصنوع من الطحين الأبيض في جميع الوجبات".

ويلفت في فصل بعنوان "الأرز في ثقافة الطهي في الشرق الأوسط"، إلى أن الحدود الجغرافية للبلدان لا تعني بالضبط حدوداً أو فواصل ثقافية "فمثلاً نحن لا نستطيع أن نضع العالم العربي كله ضمن ثقافة طهي واحدة متجانسة مختلفة عن ثقافة الطهي في إيران أو تركيا، فالروابط التي تجمع هذه المناطق ليست جهوية فقط بل لها علاقة وثيقة بالطبقات الاجتماعية والدين والبيئة المحيطة، فإذا نظرنا إلى أسلوب الحياة والذي يعد الطهي جزءاً منه بالنسبة للطبقة الراقية في مصر، نجد أنها كانت تتبع أسلوب الطبقة الأرستقراطية العثمانية، وانتقلت بعد ذلك إلى تمثل الأسلوب الأوروبي، أما شيعة المدن العراقية وليس جميع الشيعة وكذلك اليهود فقد تأثروا بالمطبخ الفارسي، بينما تأثر السنة بالمطبخ التركي العثماني مع أنهم جميعا يتحدثون العربية".

حجم الخط

مشاركة عبر

التعليقات

التعليقات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها



المدن - ثقافة

مقالات أخرى للكاتب

"صيف أرملة صاروفيم" لمازن حيدر...حرب التحرير 1989

السبت 2025/04/12

محمد فتيلينه يكتب سيرة الخضوع والتمرّد في "مزامير التجاني"

السبت 2025/04/12

"ما الفلسفة" مخطوطة لميشيل فوكو تُنشر للمرة الأولى...وتشرح مشروعه

السبت 2025/04/12

"لعنة لبنان" لمحمد أبي سمرا: شهادات الحرب الأهلية

السبت 2025/04/12

عرض المزيد

الأكثر قراءة

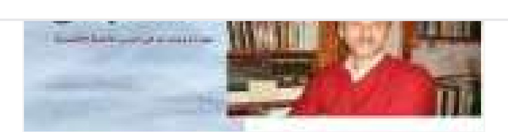
"ما الفلسفة" مخطوطة لميشيل فوكو تُنشر للمرة الأولى...وتشرح ...

"المدن" في ذكرى الحرب...عدد ورقيّ يتأمل "بداية ...

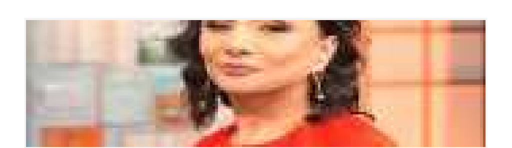


نصف قرن على الحرب اللبنانية: متى تنتهي"تقنيات ...





"لعنة لبنان" لمحمد أبي سمرا: شهادات الحرب الأهلية



"غيبة مي" لنجوى بركات: الغائبة الحاضرة في كل ...

تابعنا عبر مواقع التواصل الإجتماعي



إشترك في النشرة الإخبارية ليصلك كل جديد

اشترك معنا في نشرة المدن الدورية لتبقى على اتصال دائم بالحدث

أدخل بريدك الإلكتروني


جريدة إلكترونية مستقلة


جريدة إلكترونية مستقلة







